

الكشاف

أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليهم " إنكم وما تعبدون من دون الله " الآية فأقبل عبد الله بن الزبير فرآهم يتهايمسون فقال : فيم خوضكم . فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله ﷺ فقال عبد الله : أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه . فقال ابن الزبير : أنت قلت ذلك . قال : نعم . قال : قد خصمك ورب الكعبة . أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة ؟ فقال A : بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك . فأنزل الله تعالى : " إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى " الأنبياء : 101 ، يعني عزيرا والمسيح والملائكة عليهم السلام . فإن قلت : لم قرنا بالهتيم ؟ قلت : لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم . والنظر إلى وجه العدو باب من العذاب ولأنهم قدروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستشفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا لم يكن شيء أبغض إليهم منهم . فإن قلت إذا عنيت بما تعبدون الأصنام فما معنى " لهم فيها زفير " ؟ قلت : إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جاز أن يقال : لهم زفير وإن لم يكن الزافرين إلا هم عون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس . والحصب : المحسوب أي يحصب بهم في النار . والحصب : الرمي . وقرء بسكون الصاد وصفا بالمصدر . وقرء " حطب " و " حطب " بالصاد متحركا وساكنة وعن ابن مسعود : يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون . ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم . إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها وهم في ما اشتتت أنفسهم خلدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون " . " الحسنى " الخصلة المفضلة في الحسن تأنيت الأحسن : إما السعادة وإما البشرى بالثواب وإما التوفيق للطاعة يروى أن عليا B قرأ هذه الآية ثم قال : أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول : " لا يسمعون حسيها " والحسيس : الصوت يحس والشهوة : طلب النفس اللذة . وقرء : " لا يحزنهم " من أحزن . و " الفزع الأكبر " قيل : النفخة الأخيرة لقوله تعالى : " يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض " النمل : 87 ، وعن الحسن : الانصراف إلى النار . وعن الضحاك : حين يطبق على النار . وقيل : حين يذبح الموت على صورة كبش أملح " وتلقاهم " أي تستقبلهم " الملائكة " مهنئين على أبواب الجنة . ويقولون : هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل .

" يوم تطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا
فعلين "